لم تتباعد المواقف الأمريكية الإسرائيلية - طوال تاريخ العلاقات بينهما - مثلما هي متباعدة الآن. فهناك فجوة واسعة من الصعب التئامها سريعا. فالولايات المتحدة، ترى ضرورة الانسحاب حتى حدود ٦٧ مع إجراء تعديلات طفيفة، «وليكود» ترفض مبدأ الانسحاب وترى فيه خطرا داهما عليها، وأمريكا تطالب بوطن للفلسطينيين بينما ترفض حكومة «ليكود» المبدأ من أساسه وترى في الضفة الغربية امتدادا تاريخيا ودينيا لها، أمريكا ترى في قرارات الأمم المتحدة أساسا مناسبا للتسوية بينما ترفضها كلية حكومة «ليكود» بما فيها القراران ٢٤٢ و ٣٣٨.

انقسم يهود أمريكا على يهود إسرائيل!

الرئيس كارتر

ف . ش

فإلى أي حد يمكن أن يتلاقى الطرفان.. رغم أن المسافة واسعة ورغم أن التوصل لمنتصف المسافة أمر غير مقبول عربيا وأمريكيا ودوليا.

من هنا بدأ كل طرف في استجماع أوراقه استعدادا لاحتمالات متصاعدة للصدام.. ولكن الأوراق في هذه المرة تختلف عن تلك التي استخدمت في فترات التباعد والاختلاف السابقة.

لقد اتجه الرئيس كارتر إلى مخاطبة الرأي العام الأمريكي والقوى اليهودية داخل الولايات المتحدة.. فهي قوى يجب عليه إقناعها لأهميتها من جانب ولكونها مجال الضغط والتأثير الإسرائيلي من جانب آخر. فذلك هو خط أرسل عد المواجهة الأمامي الذي يرتكز عليه كارتر في تعامله مع حكومة «ليكود» فقد أرسل عدد من اليهود الأمريكيين البارزين رسائل إلى مناحم بيجن يحذرونه من أن يهود أمريكا لن يستطيعوا مساندة سياسته المتعصبة والمتشددة تجاه أزمة الشرق الأوسط كما ذهب الحاخام السكندر شندلر زعيم المنظمات اليهودية الأمريكية إلى إسرائيل لإبلاغ مسئوليها القلق الذي يعم الجالية اليهودية بالنسبة لمسارات الحكومة الإسرائيلية.

ولأول مرة يظهر هذا الاتجاه من جانب يهود أمريكا فالقوى اليهودية والصهيونية داخل الكونجرس والمؤسسات المختلفة والتي لم تبتعد عن المشاركة في تحديد مسارات السياسة الأمريكية أصبحت تنظر للموقف الإسرائيلي الذي قد يعصف بجهود التسوية السياسية من بعدين رئيسيين:

أولهما: أن اليهود الأمريكيين عليهم أولا أن يحسموا قضية الولاء، فهل الولاء للدولة الأم وهي الولايات المتحدة أم الولاء للروابط الدينية التي تربطهم بإسرائيل.. وبلا جدال فإن سعي بعضهم إلى مخاطبة حكام إسرائيل يعني أنهم قد أعطوا للمصلحة القومية الأمريكية اهتماماتهم الرئيسية تلك المصلحة التي تنادي بضرورة دفع عجلة التسوية خاصة أن الظروف الدولية والمحلية مهيأة بشكل لم يسبق له مثيل لتقبل تسوية سياسية

أما البعد الآخر فهو بعد يختمر في نفوس اليهود الأمريكيين ويبطنونه أكثر مما يظهرونه - فالسلام في المنطقة معناه التحلل من مسئوليات طالما أثقلت إسرائيل الحرب فعلى يهود أمريكا أن يولوها وحين تكسب إسرائيل الحرب فعلى يهود أمريكا أن يضاعفوا لها المساعدات احتفالا بانتصارها وحين تنهزم إسرائيل فتلك هي الطامة الكبرى. فالمساعدات لم تكن على المستوى وعلى يهود أمريكا أن يكفروا عن أخطائهم بتقديم المزيد من المساعدات وإلا تعرضوا لعقاب الرب.

ولكن علينا أن نضع في الاعتبار أن فوز «ليكود» قد أحدث انقساما بين الطائفة اليهودية الأمريكية فالبعض قد أعرب عن ارتياحه لأسلوب التشدد الإسرائيلي، كما أن هناك مخاوف من أن يعود اليهود الأمريكيون الذين ذهبوا لدفع الحكومة الإسرائيلية لأن تكون أكثر مرونة، يعودوا وهم أكثر اقتناعا بخط إسرائيل المتشدد. ويجب أيضا أن نضع في اعتبارنا أنه مهما اختلفت وجهات نظر اليهود الأمريكيين عن حكومة إسرائيل فسيظلون دعمها وسندها القوي

ومع ذلك فإسرائيل لاتقف مكتوفة الأيدي أمام الحركة الأمريكية النشطة بل إن هذه الحركة دفعتها لمحاولة الإمساك بزمام المبادرة حيث أرسلت من جانبها شمونيل كانز عضو «ليكود» والمرشح لشغل منصب وزير الإعلام - أرسلته ليقود حملة إعلامية ضخمة في الولايات المتحدة تستهدف الرأي العام الأمريكي والقوى اليهودية هناك.. حملة تحاول إسرائيل من خلالها إزالة ما يشوب سمعة مناحم بيجن الإرهابية وأن تضفي عليه من صفات البطولة والوطنية خاصة بعد أن نالت الصحافة الأمريكية والأوربية بحملة شعواء استهدفت بيجن على ضوء تاريخه الإرهابي. كما أن هذه الحملة تسعى للدفاع عن وجهات نظر الحكومة الإسرائيلية بالنسبة للتسوية، والعمل على حشد الطاقات والإمكانيات اليهودية ومحاولة رأب أي تصدع محتمل بين يهود أمريكا الذين يعتبرون بحق الذرع الأساسية لإسرائيل.

إذاً هناك فجوة واسعة بين الرؤية الإسرائيلية والرؤية الأمريكية للتسوية ومن هنا كانت محاولات كل طرف للضغط والتأثير على الآخر. ولكن إذا ما فشلت تلك الجهود في تقريب وجهات النظر فما هو المستقبل؟ هل ستدفع إسرائيل - تحت ظروف الضغط الأمريكي - بالمنطقة إلى حافة الهاوية أملا في أن تضع الولايات المتحدة أمام الأمر الواقع فقد صرح حاييم هيرتزوج مندوب إسرائيل الدائم في الأمم المتحدة بأن العودة لحدود ١٩٦٧ ستكون بمثابة دعوة للحرب، كما صرح عزرا وايزمان المرشح لوزارة الدفاع الإسرائيلية بأنه يتصور أن بلاده سوف تضطر في المستقبل إلى شن حرب في الشرق الأوسط.

●● أم ستسعى إسرائيل بكل طاقاتها للتسويف واختلاق المشاكل الجانبية انتظارا لانتخابات الكونجرس الأمريكي عام ١٩٧٨ - الانتخابات التي تتيح لها دائما فرص الضغط والتأثير. وهل ستصمد واشنطن للتهديد الإسرائيلي أن يقضي على آمال السلام أم ستجد أمريكا وجهها القوي الذي ظهر جليا في موقف أيزنهاور في أعقاب حرب ١٩٥٦. أم يا ترى أن خلفية كارتر الدينية البروتستانتية ودوجه للعامل الديني في مجال السياسة الخارجية لا يعدو سوى ستار من الدخان يخفي وراءه وجها أمريكيا آخر؟

٣٠ من أوراق الرئيس السادات

الجليد.. يذوب: بين موسكو والقاهرة!

أصدرت تعليماتي بعودة الأسطول من منتصف الطريق إلى طبرق!

وكما اعتاد الرئيس السادات على السلوك الغريب العجيب للقذافي. فقد جاء إلى زيارته فجأة. وكان الأطباء حول فراش الرئيس السادات. وكان متورم الوجه والجسم..

فقد اقترب يوم أول سبتمبر دون أية نتائج مؤكدة عن الوحدة الاندماجية ليعلنها في خطابه للشعب ولذلك جاء القذافي بحثاً عن مخرج من المأزق الذي وقع فيه..

ثم اتفقوا على تأجيل الاستفتاء على الوحدة عشرين يوما. واتفقوا أيضا على إقامة محافظة وحدوية على حدود الدولتين.. وفجأة - ولابد من وقوع شيء مفاجيء في أية علاقة مع القذافي - جاء من يحمل رسالة تقول: إن المحافظة الوحدوية على حدود الدولتين هي «إجهاض» للوحدة..

أي أن إقامة المحافظة بهذه الصورة، ليست مولودا وحدويا أو ليست نواة لشجرة وحدوية.. وإنما هي استعجال للولادة قبل الأوان.. والمعنى أننا - مصر - قد تعجلنا الوحدة فكانت ولادتها غير طبيعية؟!

وعلى الرغم من هذا القرار المفاجيء من القذافي، فإن الرئيس السادات قد تعود على قرارات القذافي المتشنجة، وعلى تردده وتشككه.. وقد تنبأ الرئيس السادات قبل ذلك وبعد ذلك.. بأن شكوك القذافي رمال تراكمت وتعالت وتعاظمت حتى أصبحت حاجزا فاصلا بينه وبين وضوح الرؤية وصدق النوايا.. وان كانت النوايا الطيبة في السياسة لا تهم.

وعادت قطع الأسطول المصري التي اتجهت الى طبرق.

ولم يكن الموقف يحتاج الى مثل هذا العبث!

ولكن رأى الرئيس السادات معنى آخر لصالحنا: هو أن ذهاب الأسطول وعودته والاحتفالات التي كانت ستقام في طبرق كلها جزء من الخداع الاستراتيجي لاسرائيل.

وكنا على مدى أيام من بدء القتال!

◄◄◄

بعد ساعة من وصولى مرهقا إلى بيت أبو الكوم قيل لى إن معمر القذافى قد وصل. مع أن الاتفاق هو أن نلتقى فى اليوم التالى. ولكن معمر القذافى لا يجدى معه شىء من المنطق.. فكل مايخطر على باله ينفذه دون اعتبار لأية ظروف من أى نوع. إذن لقد جاء معمر القذافى وما يزال الأطباء حول سريرى. يتشاورون هل يعطونى مضادات حيوية. وهل هذه المضادات مما أقوى على احتماله. وهل تكون المضادات حقنا أو أقراصا. اختلف الأطباء. وظلوا يختلفون ويتفقون ساعتين.

وبعد الساعتين نزلت لأجد معمر القذافى وعبد السلام جلود وعبد المنعم الهونى وعمر المحيشى.

وأنا أعرف جيدا ما الذى أتى بالقذافى. فقد اقترب يوم أول سبتمبر - الفاتح من سبتمبر - وهو اليوم الذى اتفقنا فيه على الاستفتاء على الوحدة الاندماجية. اقترب هذا اليوم ولم يتم شىء. والقذافى فى ورطة. فى مأزق. لا بد أن يواجه الناس وأن يقول لهم شيئا عن الذى وعدهم به.

ولكن معمر القذافى هو الذى فى حرج. لهو الذى يتعجل قضاء كل شىء. وعلى طريقته هو!

ولكن ما يزال كل شىء بيننا كما هو: أنا لى وجهة نظرى، وهو له وجهة نظره. والذى قلته له كررته مرات عديدة. ومستعد أن أعيده مرة أخرى بل ألف مرة. فإذا كان القذافى يريد الوحدة الاندماجية مع ليبيا، فأنا أريد الوحدة العربية الشاملة، أكثر وأعمق مما يريد. ولكن لا بد من التفكير والتدبير ولا بد أن أدخل عامل الزمن. ولا بد أن نراعى كل الظروف.. إنها أمل عظيم، وفى نفس الوقت مشكلة عظيمة. وليس ضعفا ولا عيبا ولا عجزا أن ينظر الانسان إلى الأمور ويدرك صعوبتها. بل إن إدراك الصعوبة ومعرفة أبعادها جزء من حلها.. أو نصف الحل.

إن تشرشل فى الحرب العالمية الثانية كان يقول لرجاله: أنا أعرف جيدا قدرة القوات الألمانية والدعاية الضخمة التى يقوم بها الحلفاء ومدى تأثيرها على الناس. ولا يخجلنى أن أقول إنهم أكثر نفوذا. وأرى أن هذا التصور لصعوبة الأمور، هو الذى يجعلنا قادرين على كل شىء، وحل كل مشكلة وسوف ننتصر!

■■ ومع ذلك فإننى حائر تماما فى الذى يقوله القذافى وفى الطريقة التى يعلن بها كل أحلامه وأوهامه وهواجسه.. فليس واضحا وليس جادا!

وأقرب المعانى إلى رأسى فى ذلك الوقت: أنه فى مأزق. وأنه جاء لكى أعاونه على الخروج منه.

ولم يتكلم القذافى فى ذلك اليوم. وإنما ترك عبد السلام جلود هو الذى يتكلم. فعبد السلام هو صوت سيده.. أو هو صدى لصوت سيده. فهو «الرجل الصدى».

ولزم القذافى الصمت تماما. إذن ها اتفقنا على ذلك.. واحد يتكلم والثانى يسمع ويتدخل فى الوقت الذى يراه مناسبا. وتكلمت طويلا. ومضت ساعة ونصف ساعة وأنا أعرض وأشرح وأحاول أن أقنع.. والقذافى لا يرد..

ورغم كل ذلك فقد انتهينا إلى ما عرف بعد ذلك باسم «اتفاقية بيت أبو الكوم».

واجتمعنا مرة أخرى فى اليوم التالى. واستغرق الاجتماع خمس ساعات. ولاحظنا فى هذا الاجتماع أن الموعد الذى كان محددا للاستفتاء على الوحدة قد اقترب، وما تزال هناك وجهات نظر مختلفة تماما..

ولاحظنا أيضا أنه ربما كان من الأفضل أن يكون الاستفتاء ليس على مجرد الوحدة وإنما على دستور دولة الوحدة أيضا..

واستقر الرأى على تكوين لجنة تأسيسية تتولى وضع دستور دولة الوحدة وتطرحه للاستفتاء على اسم المرشح لرئاسة الدولة.

وكان هذا الاجتماع ختاميا. وكانت وثائق الاتفاق على الوحدة جاهزة. وراجعنا نصوص الاتفاق. وأدخلنا عليها بعض التعديلات.

وبعد تناول الغداء نهضنا وجلسنا إلى مكتب صغير وأمسكت قلمى وقلت: باسم الله.

.. ووقعت بامضائى..

وجاء القذافى وأمسك قلمه قائلا: على بركة الله.

ووقع هو أيضا.

وطلبت قراءة الفاتحة لتأكيد هذا الاتفاق.

وأهم ما اتفقنا عليه هو تأجيل الاستفتاء على الوحدة إلى يوم ٢٠ سبتمبر.

والعالم كله ينظر ويتنظر: هل اتفقنا هل اختلفنا. وعلى أى شىء كان الاتفاق أو الاختلاف..

وكان قرار التأجيل إنقاذا للورطة التى وقع فيها القذافى.

وخرجنا فى سيارة إلى إحدى القواعد الجوية الفرنسية. وفى هذه القاعدة ٢٤ طيارة ميراج ليبية. نصفها مع الليبيين. والنصف الآخر مع المصريين. والطائرات التى يقودها ليبيون، معطلة إلا طائرتين اثنتين. والطائرات التى يقودها المصريون صالحة تماما..

وفى هذه القاعدة الجوية سمع القذافى ما لم يكن يتوقعه. وما أدهشنى أيضا. فقد شكا الطيارون المصريون من عدم وجود قطع الغيار. وكان المفروض أن يشتريها القذافى. فلا وصلت قطع الغيار. ولا تم التفتيش على هذه الطائرات. وشكا الطيارون المصريون أيضا من سلوك الطيارين الليبيين.. فهم - أيضا - يؤكدون للمصريين أننا لن نحارب. أو أننا لو أردنا أن نحارب، فنحن غير قادرين على القتال. وإذا قاتلنا فسوف نلقى مصير يونيو ١٩٦٧..

وقد تضايق القذافى جدا بهذا الذى سمعه، واندهشت لما سمعت أيضا. فلم يجد الضباط المصريون حرجا أن يتحدثوا بمنتهى الصراحة، التى تكشف عن ضيقهم الشديد..

■■ والقذافى والضباط الليبيون لا يعرفون أننا جادون. وأن يوم المعركة قد تحدد نهائيا.

● وكان الاتفاق فى بيت أبو الكوم على تأجيل إعلان الاستفتاء على الوحدة.. واتفقنا على أن تكون هناك محافظة وحدوية. وأن يكون احتفالا كبيرا بذلك يوم ٢٠ سبتمبر ثم جاء من يحمل رسالة تؤكد العدول عن هذا كله..

وقد قلت للقذافى أكثر من مرة إننا سوف نحارب . وإن هذا القرار نهائى . وإنها مسألة حياة كريمة أو موت ذليل . وإننا اخترنا الحياة الكريمة لمصر وللأمة العربية . ولا بديل عن الحرب . ولكن لم يصدق ذلك . . وفى نفس الوقت لايريد أن يصدق ، ولا يريدنا أن نحارب . .

ومن المهم جدا أن أعود الى رسالتى الى مجلس الثورة الليبى بتاريخ ٧ مايو سنة ١٩٧٤ . وفيها أقول : وعلى الرغم من أن المعركة صارت على الأبواب فعلا . فقد أردت ألا ينقطع خيط البحث فى إقامة الوحدة ، فأرسلت

● وكان ممدوح سالم أول من نبهنى مرة أخرى إلى أن القذافى ليس جادا . . وأنه ليس على اتفاق مع بقية أعضاء مجلس الثورة الليبى . .

إلى الأخ معمر القذافى فى ١٦ أغسطس ١٩٧٣ خطابا طويلا قلت له فيه :

« إننى كما عودتك دائما أن أفتح لك قلبى وأطلعك على دقائق فكرى ، لكى نجد معا طريقا واحدا نسلكه . . إننى فى حاجة إلى مناقشات كثيرة لكى نستجلى ونستوضح شيئا وقع ولا فائدة من انكاره . قد نسميه خطأ فى الفهم التأويل للنوايا ، وقد نسميه قصورا فى استقراء معانى التصرفات . ولكن مهما كان الاسم الذى نختاره فإن شيئا وقع . ولست الآن فى مجال تحديد المسئولية عنه ، وإنما يعنينى بالدرجة الأولى تجاوزه . وتجاوزه بطريقة بناءة ومفيدة .

وفى خطاب ١٦ أغسطس اقترحت عليه مخلصا أحد اختيارين هما بالحرف الواحد :

■■ الأول :

« أن نقول لأنفسنا وللآخرين وبشجاعة الرجال إننا فى حاجة إلى مزيد من الحوار نستجلى فيه ونستوضح ، مع استمرار عملنا المشترك داخل القيادة السياسية الموحدة ، ونعلن ذلك بأنفسنا فى بلاغ مشترك نحدد به لأنفسنا فسحة الوقت التى نطلبها .

■■ الثانى :

« أن نعلن اتفاقنا على مشروع البيان المعد للصدور عن القيادة السياسية الموحدة إلى الشعب العربى فى جمهورية مصر العربية والجمهورية العربية الليبية وعلى مشروع القرار المعد للصدور تحت رقم ٩ من القيادة السياسية الموحدة فى شأن الاعلان الدستورى للوحدة بين مصر وليبيا .

وفى رسالة ٦ مايو ١٩٧٤ كتبت أقول : ولما لم تجد هذه الاقتراحات آذانا صاغية ، والتقيت بالأخ معمر بعد ذلك حين جاء فجأة إلى القاهرة فى أواخر أغسطس سنة ١٩٧٣ ، ثم فى مؤتمر عدم الانحياز فى الجزائر ، وكنا قد وصلنا الى منتصف سبتمبر ١٩٧٣ ، لم يبنعنى علمى بأن مصر وقواتها المسلحة ستواجه أخطر امتحان مصيرى بعد أسابيع . . من أن أطرح عليه اقتراحا عمليا على طريق الوحدة ، وافق الأخ معمر عليه . وبدأنا نستعد عمليا له ، لولا أنه لم يلبث حين عاد إلى طرابلس أن غير رأيه ورفض ما كان قد وافق عليه . .

وكان الاقتراح الذى اتفقنا عليه ، وحتى نقطع دابر الشكوك والوساوس وتكهنات فلاسفة السياسة هو أن نقوم بإجراء عملى وحدوى . وهذا الاجراء هو خطوة تجسد تصميمنا الفعلى على تحقيق ما عاهدنا الأمة عليه . .

ذلك بأن نجتمع فى طبرق بليبيا فى ٢١ سبتمبر ١٩٧٣ ونعلن إنشاء محافظة جديدة تكون أول محافظة وحدوية تضم قطعة من أرض مصر وقطعة من أرض ليبيا . وأن نقيم فى داخل هذه المحافظة الوحدوية منطقة حرة تكون « رعاء » فى المراحل لترتيب المصالح المشتركة بين البلدين . حفاظا على مصالح ليبيا بالذات ، وأن يقترن هذا باجتماع الجمعية التأسيسية المصرية الليبية المكلفة بوضع دستور الوحدة وبحضورنا معا . ونحدد لها زمنا لإنجاز هذا الدستور ويوما للاستفتاء عليه . .

واقترحت فوق ذلك أن يقترن هذا الاجتماع والإعلان من طبرق بعرض عسكرى من قوات البلدين البرية والجوية والبحرية تأكيدا لأبعاد الوحدة التى نريد أن نرسى بناءها . .

■■ وكان كلامى مع القذافى واضحا تماما . وهو كعادته يسكت أو يوافق فى صمت . وكعادته يعود إلى بلاده فيقلب كل شىء . وينكر أنه قال أو أنه سمع . . وتكون المفاجأة - التى اعتدت عليها ولا أفهمها ولا أقرها - أن يبعث بمن يقول إنه قد غير رأيه . .

وقد جاء فى « اتفاقية مبت أبو الكوم » أن يتولى المحافظة الوحدوية الجديدة أحد أعضاء مجلس قيادة الثورة الليبى .

ولكى لم أكن أعرف أن القذافى على خلاف مع جميع أعضاء مجلس قيادة الثورة فيما عدا عبد السلام جلود . والذى لفت نظرى إلى ذلك ممدوح سالم . فقد أدرك ممدوح سالم بوضوح شديد ، أن الرجل غير جاد . وأنه لا أحد من أعضاء مجلس قيادة الثورة يوافقه على رأيه ، فيما عدا « الرجل الصدى » أو الرجل الذى هو صدى صوت القذافى : عبد السلام جلود . . وهو الذى يقول : آمين . . لكل ما يقوله القذافى . .

وقد استدعيت المشير أحمد اسماعيل - الله يرحمه - وطلبت منه أن يصدر أمره للاسطول المصرى فيتحرك ليكون فى طبرق يوم ٢٠ سبتمبر .

وقلت لأحمد اسماعيل إن تحريك الأسطول فى اتجاه طبرق ووقوفه عندها فرصة لعمل خداع استراتيجى ممتاز . فإسرائيل والعالم كله سوف يجد أسطول مصر قد اتجه إلى الغرب ، وفى طبرق سوف تقام احتفالات وسوف نعلن عن « نواة » للوحدة الاندماجية . بينما قواتنا كلها تستعد للعبور شرقا . .

وفى برج العرب فى استراحة وزارة الزراعة التى أقيمت من خمسين عاما استدعيت أمناء الاتحاد الاشتراكى وجهزتهم للمعركة . واستدعيت الكثيرين بعيدا عن القاهرة والاسكندرية .

● واستدعيت المشير أحمد اسماعيل . وطلبت إليه أن يستدعى الأسطول المتجه إلى طبرق . . وأن يلغى كل هذه التعليمات . . وكانت بعض قطع الأسطول قد قاربت مرسى مطروح . .

وفى يوم ١٣ سبتمبر نوجئت بأن وزير الوحدة الليبى جاء بطلب مقابلتى ـ وكانت اتفاقية ميت أبو الكوم تنص على أن يعين كل منا وزيرا للوحدة . وزير الوحدة الليبى يقيم فى مصر ووزير الوحدة المصرى وكان مراد غالب يقيم فى ليبيا .

وجاءنى وزير الوحدة الليبى فى برج العرب يحمل رسالة عاجلة من القذافى . فتحتها . قرأتها .

سألته : هل قرأت هذه الرسالة يا ابنى ؟

قال : لا

■ قلت : ليست عندك أية فكرة عن الذى تحتويه ؟

قال : لا .. !

■ قلت : تحب أن تعرف ما الذى جاء فيها ؟

قال : نعم

وقرأت له خطاب معمر القذافى . واستوقفنى تعبير غريب ، من تلك التعبيرات البهلوانية : إجهاض للوحدة ..

أما ما الذى اعتبره القذافى « إجهاضا » للوحدة المطلوبة .. فهو إنشاء محافظة تضم أرضا من مصر مائة كيلو متر وأرضا من ليبيا مائة كيلو متر أى ما بين سيدى برانى وطبرق ، وتحتوى على مطروح والسلوم فيما بينهما ويكون محافظها ليبيا .. وأن تكون هناك لجنة تأسيسية تضم ٥٠ مصريا بالنيابة عن ٣٦ مليونا و ٥٠ ليبيا بالنيابة عن مليون ونصف مليون .. هذا يسميه « إجهاض الوحدة » .. تعبير بهلوانى مثل تعبير أن ليبيا بلد : الثورة والثروة ..

وكنت فى ذلك الوقت أجلس فى إحدى خيام العرب . فعلا إحدى الخيام . وأنا أحب ذلك عندما أكون فى هذه المنطقة الصحراوية ..

ولم يرد وزير الوحدة على كلمة واحدة مما قلت .

■■ وأخيرا قلت له : اسمع يا ابنى .. الآن سمعت ما جاء فى خطاب القذافى .. والقذافى قد عاد إلى حالته القديمة .. لقد غير رأيه .. إذن لا بد من إلغاء ٢٠ سبتمبر .. وأنا غير مستعد لهذا العبث !

والحقيقة أن القذافى غير مستعد للوحدة . وغير جاد .

وأذكر أنه حدث عند عودتى من مؤتمر عدم الانحياز الذى انعقد فى الجزائر أن مررت على القذافى : منعما للحسابات والعقد النفسية . وهناك سألنى بشير هوادى عضو مجلس الثورة الليبى : هل هناك معركة يا ريس ؟

■ قلت : نعم . هذا مؤكد !

وبشير هوادى هذا إنسان طيب ساذج . ومن سذاجته أنه ثار على القذافى . فعزله القذافى وحبسه فى بيته .

واستدعيت أحمد إسماعيل وطلبت إليه أن يلغى عملية ٢٠ سبتمبر .

● وفى الجزائر سألنى بشير هوادى إن كنت جادا فى الحرب .. أو فى أن تكون هناك حرب بيننا وبين اسرائيل .. وأكدت له ما تعرفه كل قواتنا ولا يعرفه الليبيون .. من أن الحرب وشيكة الوقوع ..

وقال لى أحمد إسماعيل : إن بعض الوحدات قد اقتربت من طبرق وباقى الوحدات كلها فى مرسى مطروح ..

■ قلت : تلغى العملية كلها . ويعود الأسطول إلى الإسكندرية . أما القوات التى تعمل فى العمليات التى اتفقنا عليها فتظل كما هى ..

ومن المعروف فى العلم العسكرى أن ساعة الصفر بالنسبة للقوات البحرية تسبق ساعة الصفر بالنسبة للقوات الأخرى بعشرة أيام . لأن القوات البحرية تحتاج إلى وقت لكى تتجه الى البحر الأحمر وتقف عند باب المندب وتتحرك فى البحر الأبيض وتقف عند خطوط الطول والعرض التى حددتها للملاحة العالمية .. وهذه القوات تتلقى أوامرها فى مظاريف مغلقة وكذلك الفواصات والمدمرات .

وفى يوم ٦ أكتوبر وفى ساعة الصفر تفتح كل القوات المظاريف المغلقة وفى هذه المظاريف تجد الخطة التى وضعناها .. وهذا هو العرف المتبع فى العلم العسكرى فى العالم كله .. وعندنا ولله الحمد رجال قادرون على أن يديروا معارك مثل معارك نورماندى التى شهدها العالم فى الحرب العالمية الثانية .

واعترف أننى تحيرت فى أمر هذا الرجل ولم أعرف وسيلة واحدة للقضاء على وساوسه .

وسبق أن قلت له فى إحدى الرسائل الخاصة : وجانى شخصيا أن تزيل عنك أى شكوك .. فإننى أشعر أن هذه الشكوك تساورك من وقت لآخر ولا أرى مبررا لذلك .

ولم تنته شكوك القذافى ولكنها تعاظمت حتى أصبحت حائطا كبيرا فاصلا بينه وبيننا .. أو بين أية دولة عربية أخرى .. أو أية دولة أخرى ...

■■ وهذا هو الذى دفعنى الى أن أختم رسالتى التى بعثت بها فيما بعد الى مجلس الثورة الليبى بتاريخ ١٧ أغسطس سنة ١٩٧٤ :

قلت بالحرف الواحد : وبصراحة كاملة ، يؤسفنى أن أقول إن الاستعمار بعد سنوات طويلة كان يستهدف دائما جعل ليبيا منطقة منعزلة بين شرق العالم العربى ومغربه .. وكان يستهدف دائما أن تكون ليبيا بالتالى بحكم موقعها معزولة بدورها ، حتى تظل دون أن تدرى فى إطار الخطة الاستعمارية العامة ..

وقلت أيضا : وقد نجحت هذه الخطة فى إنجاز هذه المهمة عن طريق إسدال الستار على حدود ليبيا .. واليوم نجد أن خطة الاستعمار تنجح مرة أخرى فى إبقاء هذا الوضع بطريق آخر هو طريق العداء بعد طريق الانطواء .

« إننى لا أتحدث هنا عن النوايا .. إن النوايا لا قيمة لها فى القضايا السياسية والاستراتيجية الخطيرة ، ولكن هذا ما يحدث فعلا . فكل تصرفات القيادة الليبية تستهدف تعميق الهوة بين مصر وليبيا ، وتستهدف أكثر من ذلك زرع المرارة بين الشعبين .

« ونحن ندرك هذا جيدا ، وأحد أسباب ردود فعلنا الهادئة أننا نحاول تفويت هدف هذه المؤامرة التى تتورطون فيها يوما بعد يوم . بهذا الأسلوب الخطير من أساليب اللعب بالنار دون إدراك للعواقب البعيدة .

« إن بلادنا مفتوحة لأية مبادرة ليبية صادقة النية . وبلادنا مفتوحة لكل مواطن ليبى يأتى إلى مصر حيث لن يجد إلا كرم الضيافة وحسن المعاملة .. ونحن نعرف جيدا الفرق بين المواطن الليبى الطيب الذى يمثل طيبة الشعب الليبى الأصيلة وبين الذين ترسلونهم فى مهمات للتآمر والتخريب بوحى من أجهزتكم ..

وختمت كلمتى إلى مجلس الثورة الليبى بتنهيدة الأسى والحزن ، وكأننى كنت أتنبأ بكل ما حدث بعد ذلك . لقد لخص فى نهاية هذه الرسالة التى أرى من الضرورى أن أعيدها ليعلم قراء التاريخ وهواة الصيد فى بحار السياسة أن موقفى لم يتغير وأن الذى رأيته وخشيت أن يقع منذ سنوات قد وقع . قلت فى نهاية رسالتى : وختاما ، فإننى ما زلت آمل أن تدركوا قبل فوات الأوان أن مصر بلد لا يخضعها الضغط ، حتى فيما يمس ضرورات المعركة ، ولا يشتريها المال حتى لو كان ينعكس على غذائها وكسائها .. ولا يخترقها تآمر ومحاولات تخريب فردية مكشوفة ..

« ألا هل بلغت .. اللهم فاشهد . »

■■ فهل تغير شىء من سلوك القذافى ؟

هل اقتنع بشىء آخر .. هل قرأ تاريخ الشعب المصرى العظيم .. هل تابع كفاحه البطولى فى كل العصور وصموده فى وجه الطغاة ، وصبره الطويل على المكاره بغير ذل ، وقتاله من أجل الحرية بغير هوان ؟

لا أظن أنه فعل شيئاً من ذلك !

نقلب فى أوراق السادات الأسبوع القادم إن شاء الله